الحرب التي أعادت تشكيل الشرق الأوسط

كيف يمكن لواشنطن تحقيق الاستقرار في منطقة متغيرة؟

فورن افيرز ماريا فانتابي وفالي ناصر

مركز حمورابي

مركز حمورابي
للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

الحرب التي أعادت تشكيل الشرق الأوسط كيف يمكن لواشنطن تحقيق الاستقرار في منطقة متغيرة؟

فورن افيرزماريا فانتابي وفالي ناصر

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

26 تشرين الثاني 2023

حقوق النشر محفوظةلمركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

لا يجوز نشر أي من هذه الأبحاث و الدراسات و المقالات إلا بموافقة المركز, و يجوز الإقتباس بشرط ذكر المصدر كاملاً , و ليس من الضروري أن تمثل المقالات و الأبحاث و الدراسات و الترجمات المنشورة وجهة نظر المركز , وإنما تمثل وجهة نظر الباحث.

مركز حمورابي
للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

قبل 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023، بدا الأمر كما لو أن رؤية الولايات المتحدة للشرق الأوسط بدأت تؤتي ثمارها أخيرا. وكانت واشنطن قد توصلت إلى تفاهم ضمني مع طهران بشأن برنامجها النووي، حيث أوقفت جمهورية إيران الإسلامية فعليا المزيد من التطوير مقابل إغاثة مالية محدودة. وكانت الولايات المتحدة تعمل على اتفاقية دفاع مع المملكة العربية السعودية، والتي بدورها ستقود المملكة إلى تطبيع علاقاتها مع إسرائيل. وكانت واشنطن قد أعلنت عن خطط لإنشاء ممر تجاري طموح يربط الهند بأوروبا عبر الشرق الأوسط لتعويض نفوذ الصين المتزايد في المنطقة.

وكانت هناك عقبات بالطبع. وظلت التوترات بين طهران وواشنطن، على الرغم من أنها أقل مما كانت عليه في الماضي، مرتفعة. وكانت الحكومة الإسرائيلية اليمينية المعلنة مشغولة بتوسيع المستوطنات في الضفة الغربية، مما أثار غضب الفلسطينيين. لكن المسؤولين الأمريكيين لم يروا في إيران مفسدا. فقد أعادت مؤخرا علاقاتها مع مختلف الحكومات العربية. وكانت الدول العربية قد قامت بالفعل بتطبيع العلاقات مع إسرائيل، على الرغم من أن إسرائيل لم تقدم تنازلات ذات مغزى للفلسطينيين.

ثم هاجمت حماس إسرائيل، وألقت بالمنطقة في حالة من الاضطراب وقلبت رؤية الولايات المتحدة رأسا على عقب. وإن الهجوم الواسع الذي شنته الحركة المسلحة من قطاع غزة - والذي اخترق فيه مقاتلوها جدارا حدوديا عالي التقنية ، واجتمعوا في جميع أنحاء البلدات الإسرائيلية الجنوبية ، وقتلوا ما يقرب من 1200 شخص ، واحتجزوا أكثر من 240 رهينة - أوضح أن الشرق الأوسط لا يزال منطقة شديدة الانفجار. وأدى الهجوم إلى رد عسكري شرس من جانب إسرائيل تسبب في كارثة إنسانية في غزة، مع سقوط أعداد كبيرة من القتلى والنازحين الفلسطينيين، وزاد من خطر نشوب حرب إقليمية أوسع نطاقا. ومرة أخرى، أصبحت محنة الفلسطينيين في المقدمة والوسط، والتوصل إلى اتفاق إسرائيلي سعودي غير ممكن. وبالنظر إلى أن الدعم الإيراني يفسر مرونة حماس وقدراتها العسكرية، فإن قدرات إيران العسكرية الإقليمية تبدو الآن قوية للغاية، كما تبدو طهران حازمة حديثا. وعلى الرغم من أن إيران ليست حريصة على صراع أوسع، إلا أنها لا تزال تنعم باستعراض حماس للقوة، ومنذ ذلك الحين، صعدت الرهان مع تبادل إسرائيل إطلاق النار مع حزب الله اللبنانية، وبينما كانت الجماعات الأخرى المدعومة من إيران تطلق الصواريخ على القوات الأمريكية.

ولا يزال نفوذ الولايات المتحدة يلوح في الأفق بشكل كبير على الشرق الأوسط. لكن دعمها للحرب الإسرائيلية أضر بمصداقيتها في المنطقة. (وقد أضر هذا الدعم أيضا بمكانة واشنطن في الجنوب العالمي على نطاق أوسع، خاصة وأن ادعاء إسرائيل بالدفاع عن النفس تحول إلى عقاب جماعي للمدنيين الفلسطينيين). وهذا يعني أنه سيتعين على الولايات المتحدة صياغة استراتيجية جديدة للشرق الأوسط، استراتيجية تتعامل مع الحقائق التي تجاهلتها منذ فترة طويلة. وواشنطن، على سبيل المثال، لم يعد بإمكانها إهمال القضية الفلسطينية. في الواقع، سيتعين عليها أن تجعل حل هذا الصراع محور مساعيها. وسيكون من المستحيل ببساطة على الولايات المتحدة معالجة مسائل أخرى في المنطقة، بما في ذلك مستقبل العلاقات العربية الإسرائيلية، إلى أن يكون هناك مسار موثوق به لدولة فلسطينية مستقبلية قابلة للحياة.

ويجب على واشنطن أيضا معالجة قوة طهران الصاعدة، التي هزت الشرق الأوسط. فإذا أرادت الولايات المتحدة إحلال السلام في المنطقة، فعليها أن تجد طرقا جديدة لتقييد إيران ووكلائها. وعلى نفس القدر من الأهمية، يجب على الولايات المتحدة أن تقلل من رغبتها في تحدي النظام الإقليمي. وسوف تحتاج بشكل خاص إلى اتفاق جديد يوقف مسيرة إيران لتحقيق القدرة على صنع أسلحة نووية.

ولتحقيق هذه الأهداف، لا يتعين على الولايات المتحدة أن تتجاهل كل ما عملت من أجله. وفي الواقع، يمكنها - وينبغي لها - أن تبني على عناصر النظام الذي تصورته سابقا. وعلى وجه الخصوص، يجب على واشنطن ترسيخ خطتها الجديدة للمنطقة في شراكتها مع المملكة العربية السعودية، التي لديها علاقات عمل مع إيران وإسرائيل والعالم العربي بأسره. ويمكن للرياض استخدام نفوذها الواسع للمساعدة في إحياء المفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية ومساعدة الولايات المتحدة على إبرام اتفاق نووي مع إيران. ومعا، يمكن للرياض وواشنطن إنشاء الممر الاقتصادي الشرق أوسطي الذي تحتاجه الولايات المتحدة لتحقيق التوازن ضد الصين.

ولن تكون هذه الصفقة الكبرى الجديدة واضحة مثل الصفقة التي كانت الولايات المتحدة تتفاوض عليها قبل 7 تشرين الأول/أكتوبر. ولن يبدأ بالتطبيع الإسرائيلي السعودي، ولن ينتهي بتحالف عربي إسرائيلي ضد إيران. ولكن على عكس الاتفاقات السابقة، فإن هذا الإطار الجديد قابل للتحقيق. وإذا تم القيام به بشكل صحيح، فإنه سيقلل من التوترات الإقليمية ويقيم سلاما دائما.

مركز حمورابي
للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

التمني

من السهل أن نرى لماذا اعتقدت الولايات المتحدة أنها يمكن أن تتراجع عن الشرق الأوسط. وبدا أن الصراع العربي الإسرائيلي على وشك الانتهاء، حتى لو استمر الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. وكانت إيران قد أبرمت صفقة فعالة مع الولايات المتحدة للحد من تقدم برنامجها النووي وقامت بتطبيع العلاقات مع المملكة العربية السعودية ودول الخليج الأخرى. وبدا أن المنطقة تعتني بنفسها، مما حرر واشنطن للتركيز على آسيا وأوروبا.

لكن واشنطن بالغت في تقدير استقرار هذا الوضع، وقللت من شأن القوى المصطفة ضدها. فعلى سبيل المثال، يبدو أن الرئيس الأمريكي جو بايدن لم يفكر كثيرا في كيفية حصوله على موافقة مجلس الشيوخ على معاهدة دفاع مع المملكة العربية السعودية، على الرغم من أن المعاهدة قد تنطوي على تزويد المملكة بأسلحة متطورة وبنية تحتية نووية مدنية. كما افترضت الولايات المتحدة خطأ أن دولا أخرى في الشرق الأوسط لن تحتج لأنها عززت سعي الرياض للهيمنة الإقليمية. واعتقدت واشنطن أن طهران، على سبيل المثال، كانت حريصة جدا على تطبيع العلاقات مع الدول العربية ومشغولة جدا بالاضطرابات الداخلية بحيث لا يمكنها التدخل في الخطط الأمريكية. وفي الواقع، بالطبع، كانت إيران تواصل تعزيز ورعاية وكلائها المسلحين.

لكن أكبر سوء تقدير لواشنطن كان الاعتقاد بأن بإمكانها تجاهل القضية الفلسطينية. فعلى سبيل المثال، استند اتفاقها المبدئي مع السعوديين إلى افتراض أن الرياض يمكنها تطبيع العلاقات مع إسرائيل وعدم إثارة رد فعل عنيف واسع النطاق، على الرغم من أنه كان من غير المرجح أن تتضمن أي صفقة تنازلات كبيرة للفلسطينيين. وكانت الولايات المتحدة تعلم أنه على الرغم من الوعد بخفض التصعيد، استمرت حرب الظل بين إيران وإسرائيل في الغليان. لكنها لم تتوقع أن تتلاقى تلك الحرب مع القضية الفلسطينية، ويكون لها تأثير مدمر.

وكما أظهر 7 تشرين الأول/أكتوبر، كانت معتقدات واشنطن حول الشرق الأوسط غير صحيحة على الإطلاق. ومع ذلك، لم تقم الولايات المتحدة حتى الآن بتحديث تفكيرها. وبدلا من الضغط من أجل شن حملة عسكرية محدودة قد تنقذ سمعة إسرائيل، كان رد واشنطن الشامل على الحرب في غزة هو الدعم القاطع تقريبا لهجوم عسكري وحشي. وكانت النتيجة غضبا معاديا لإسرائيل والولايات المتحدة في جميع أنحاء الشرق الأوسط. فعلى سبيل المثال،

أدان العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني وزوجته الملكة رانيا العبد الله علنا الحملة العسكرية الإسرائيلية، وانتقدا الدعم الأمريكي لها، وأوضحا أن الأردن لا يقف مع الغرب في هذه الحرب. واستدعى كل من الأردن والبحرين سفيريهما لدى إسرائيل وجمدا العلاقات الدبلوماسية. فعندما عقد وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن والقادة العرب اجتماعا في عمان في تشرين الثاني/نوفمبر، لم يتمكنوا حتى من إصدار بيان مشترك روتيني.

وحاولت الولايات المتحدة التعويض عن موقفها المؤيد لإسرائيل من خلال دعم وقف القتال لإدخال المساعدات الإنسانية إلى غزة. كما تعاونت مع حكومة قطر، التي تربطها علاقات وثيقة بحماس، لتأمين إطلاق سراح الرهائن. وضغطت واشنطن لجعل السلطة الفلسطينية تحكم غزة في نهاية الحرب، بدلا من إخضاعها لاحتلال إسرائيلي طويل الأمد.

لكن من غير المرجح أن تؤدي هذه الخطوات المتواضعة إلى تحقيق الاستقرار في المنطقة. والواقع أنهم يفعلون العكس: خلق فراغ ستستخدمه الجهات الفاعلة الأخرى في العالم العربي لتعزيز مصالحها الخاصة. لقد جعلت إسرائيل من تدمير حماس هدفها المباشر، ولكن من دون ضغوط أمريكية، ستسعى أيضا إلى إقناع مواطنيها والمنطقة بأنها لا تقهر من خلال إلحاق أضرار لا تحصى بغزة لردع الخصوم المحتملين. وسترغب مصر والأردن والسلطة الفلسطينية في تقليل التهديدات الداخلية والخارجية لسلطتها، لذلك ستحاول التأكد من أن أي دبلوماسية ما بعد الحرب تناسب مصالحها الاقتصادية وتعزز مكانتها الإقليمية. وسوف تستخدم دول الخليج أيضا الصراع للتنافس على النفوذ. وتستفيد قطر بالفعل من علاقتها مع حماس لتجعل من نفسها لاعبا إقليميا لا غنى عنه - لاعب يتمتع بنفوذ أكبر من كل من المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة. وفي الوقت نفسه، تريد تركيا إيجاد دور في حل الصراع حتى تتمكن من إقناع واشنطن ببيعها طائرات مقاتلة من طراز F-16 والتراجع عن دعم الأكراد في سوريا.

لكن الدولة التي استفادت بالفعل من الحرب هي إيران. لقد أدت بعث القضية الفلسطينية إلى تركيز الاهتمام الإقليمي مرة أخرى على بلاد الشام. لقد أظهر محور المقاومة الذي تقوده إيران، والذي يضم بالإضافة إلى حماس وحزب الله نظام الأسد، والميليشيات الشيعية في كل من العراق وسوريا، والحوثيين في اليمن، أنه قادر على تغيير اتجاه سياسة الشرق الأوسط،

Mobile: 00964 - 7810234002
Baghdad - Aljadiriyah - P O. Box: 2405
E-mail: hcrsiraq@yahoo.com
العنوان: العراق ـ بغداد ـ الكرادة ـ عرصات الهندية ـ مجاور السفارة الصينية
بغداد الجادرية صندوق بريد 2405
Website: http://www.hcrsiraq.net

وتصعيد الصراعات الإقليمية وتخفيف تصعيدها كما تشاء. ومن خلال تقديم دعم لا يتزعزع لحماس، عززت إيران أيضا صورتها كمدافع عن الفلسطينيين، مما زاد من شعبيتها في جميع أنحاء الشرق الأوسط. وتعمل طهران على موازنة دعمها لحماس مع علاقاتها المزدهرة مع العالم العربي لترسيخ نفسها بالكامل في السياسة الإقليمية. فبعد وقت قصير من هجمات حماس، تحدث الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي هاتفيا مع ولي عهد السعودي محمد بن سلمان لأول مرة منذ أن جددت الدولتان علاقاتهما في مارس 2023. ثم سافر رئيسي إلى الرياض في نوفمبر بدعوة من الأمير لحضور ما أسماه المشاركون القمة العربية الإسلامية الاستثنائية المشتركة. لقد أخذت طهران فكرة المحور العربي الإسرائيلي لاحتواء إيران وقلبتها رأسا على عقب.

وتدفع هذه الاتجاهات مجتمعة المنطقة نحو صراع أوسع.و إن انعدام الثقة المتزايد في الولايات المتحدة، وعدم قدرة البلاد على قيادة المنطقة إلى الاستقرار، وعدم وجود أي رؤية مشتركة للالتفاف حولها، تدفع الدول المختلفة إلى السعي وراء مصالحها الخاصة على المدى القصير، مسترشدة بشكل متزايد بالضغط من الشوارع والمخاوف من حرب أوسع. وهذه المصالح المتباينة تطيل أمد الأزمة في المنطقة وتزيد من فرصة التصعيد غير المقصود. ولتجنب الأسوأ، سيتعين على واشنطن إعادة النظر في افتراضاتها الأساسية، وتجديد التزامها تجاه الشرق الأوسط، ووضع رؤية جديدة للمنطقة.

اتفاق أو لا اتفاق

إن مهمة واشنطن الأكثر إلحاحا هي إنهاء الحرب في غزة. وطالما أن إسرائيل تهاجم القطاع وتقتل المدنيين هناك، وما دامت الولايات المتحدة لا تفعل شيئا يذكر لكبح جماح حليفتها، فإن الحكومات والشعوب في الدول العربية ستكون غاضبة للغاية من أن تحذو حذو الولايات المتحدة. ونتيجة لذلك، يجب على المسؤولين الأمريكيين الضغط على إسرائيل لوقف شن حرب على حماس، فهي تعاقب المدنيين بشكل جماعي - فاعتبارا من 16 تشرين الثاني/نوفمبر، أسفر القتال في غزة عن مقتل أكثر من 14,000 فلسطيني وحرم القطاع من الوصول إلى الغذاء والماء والدواء. ويجب على واشنطن أن تجعل إسرائيل تتوقف عن استخدام العنف غير المقيد في غزة والضغط عليها للسعي بدلا من ذلك إلى حل سلمي وسياسي للقضية الفلسطينية المستمرة منذ عقود.

وبمجرد انتهاء القتال، يمكن لواشنطن أن تبدأ في التطلع إلى الأمام. وبينما تفعل ذلك، سوف تحتاج إلى اتخاذ وجهة نظر واقعية. لكنها لا تحتاج إلى التخلص من كل ما عملت من أجله قبل 7 أكتوبر. ولا يزال يتعين على الولايات المتحدة أن تبني استراتيجيتها على إبرام صفقة كبرى مع المملكة العربية السعودية. وعلى الرغم من أن الرياض قد لا تطبع علاقاتها مع إسرائيل في أي وقت قريب، إلا أنها لا تزال واحدة من الحكومات القليلة في المنطقة التي لا تزال على علاقة جيدة مع كل دولة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. بل إن لديها علاقات ودية، وإن كانت غير رسمية، مع إسرائيل. وهي وسيط رئيسي في المنطقة.

فإذا كان هناك أي شيء، فإن الحرب في غزة يمكن أن تعزز تفوق المملكة العربية السعودية من خلال منحها فرصة لتحقيق الاستقرار في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. وكانت القمة العربية الإسلامية الاستثنائية المشتركة، التي ضمت قادة من مختلف أنحاء العالم العربي، بالإضافة إلى إيران وتركيا، خطوة أولى في هذا الاتجاه. وعلى عكس مصر أو الأردن أو الدول الأخرى التي تتوسط عادة بين إسرائيل وخصومها، تتمتع المملكة العربية السعودية بالمصداقية والعلاقات الإقليمية اللازمة للمساعدة في التوصل إلى اتفاق سلام حقيقي. وللقيام بذلك، ستعمل المملكة العربية السعودية مع إيران وتركيا، وهما سماسرة القوة الرئيسيون في العالم العربي، وكذلك مع إسرائيل عبر الولايات المتحدة، للتوصل إلى إطار واسع لعملية سلام إسرائيلية فلسطينية بهدف إقامة دولة فلسطينية. وبعد ذلك، ستعمل المملكة العربية السعودية وشركاؤها على بناء إطار شامل للأمن الإقليمي يجب أن يتضمن قواعد وخطوطا حمراء متفق عليها على نطاق واسع من قبل جميع الأطراف. و فقط اتفاق كهذا من شأنه أن يضمن سلاما دائما على حدود إسرائيل، ويغلق الباب أمام القوى المتطرفة بين الفلسطينيين، ويحتوي حرب الظل بين إيران وإسرائيل، ويحكم محور المقاومة في طهران.

وسيتردد السعوديون في امتلاك القضية الفلسطينية. لكن مصالح المملكة العربية السعودية تكمن في السلام والأمن الإقليميين. ولا يمكن لرؤيتها الاقتصادية الكبرى أن تتكشف إذا كانت هناك أزمة دائمة في المنطقة. كما لا تزال الرياض تطمع في القيادة الإقليمية والاعتراف بها كقوة عظمى على الساحة العالمية، وهو أمر يتطلب دعما أمريكيا، وبالتالي يمكن أن يدفع الرياض إلى الاستجابة للدعوات الأمريكية للتوسط في اتفاق سلام.

ولمساعدة المملكة العربية السعودية، سيتعين على الولايات المتحدة أن تعرض على الرياض الدعم الدبلوماسي لمتابعة دبلوماسية واسعة النطاق، بما في ذلك منح الحكومة الإذن بالسعي للحصول على موافقة إيران على صفقة لحل القضية الفلسطينية. وسيتعين على واشنطن حشد حلفائها العرب الآخرين لدعم الرياض أيضا. ويجب على الولايات المتحدة متابعة اتفاقية الدفاع التي كانت مطروحة على الطاولة مع الرياض قبل 7 تشرين الأول/أكتوبر. لكنها لم تعد قادرة على المطالبة بالاعتراف الفوري بإسرائيل كشرط مسبق. وبدلا من ذلك، يجب على الولايات المتحدة أن تطلب من المملكة العربية السعودية قيادة عملية السلام الإسرائيلية الفلسطينية. وعندئذ يمكن أن يكون تطبيع العلاقات مع إسرائيل نتيجة للعملية.

وبينما تطرح السعودية اقتراح سلام لإسرائيل والأراضي الفلسطينية، سيتعين عليها أن تثبت قدرتها على التشاور مع جيرانها الخليجيين ومراعاة طموحاتهم بشكل أفضل، فضلا عن مخاوفهم الأمنية - وهو ما لم تفعله قبل 7 تشرين الأول/أكتوبر. وقد يتطلب القيام بذلك أن تستخدم الرياض الطاقة الدبلوماسية التي قد تكون مترددة في إنفاقها. ولكن إذا نجحت في المساعدة على تسهيل الطريق إلى اتفاق إسرائيلي فلسطيني وتحقيق قدر أكبر من الأمن الإقليمي، فإن المملكة العربية السعودية ستكتسب الجاذبية الدبلوماسية التي تتوق إليها. وفي الوقت نفسه، من شأن إبرام اتفاقية دفاعية مع الولايات المتحدة أن يوفر للمملكة القدرات العسكرية التي تحتاجها لتعزيز مكانتها كلاعب اقتصادي وسياسي رئيسي في الشرق الأوسط.

التقيد، عدم الاحتواء

إن حل القضية الفلسطينية ضروري لخلق شرق أوسط مستقر. لكنه ليس التحدي الوحيد الذي يواجه المنطقة. وكجزء من أي صفقة كبرى، ستحتاج واشنطن إلى خفض التوترات مع إيران واستخدام اتفاقها مع الرياض لتقييد طموحات البلاد. وفي حد ذاته، فإن التوصل إلى اتفاق مع الرياض يخاطر بالقيام بالعكس تماما.

فهناك العديد من الأسباب التي قد تجعل إيران تستجيب بشكل سيئ للاتفاق الأمريكي السعودي. وإن حجم ونوعية الأسلحة التي ستبدأ في التدفق من الولايات المتحدة إلى المملكة العربية السعودية، على سبيل المثال، سوف يثير قلق طهران. كما أنها ستعتبر البرنامج النووي المدني السعودي عدوانيا بطبيعته، بغض النظر عن عدد القيود التي تفرضها واشنطن عليه. كما ستشعر إيران بالقلق من أن معاهدة الدفاع الأمريكية السعودية ستؤدي إلى وجود عسكري أمريكي موسع في الشرق الأوسط.

وبالتالي، قد ترد طهران على اتفاق أمريكي-سعودي من خلال تصعيد تصنيع أسلحتها، وشن المزيد من الهجمات بالوكالة، وتعزيز برنامجها النووي. (قد تبدأ مصر وتركيا والإمارات العربية المتحدة في السعي للحصول على قدرات نووية أيضا).

وإذا قامت إسرائيل والمملكة العربية السعودية في نهاية المطاف بتطبيع العلاقات، فقد تنشئ إسرائيل وجودا عسكريا واستخباراتيا مباشرا في الخليج، وهو وجود يمكن حمايته بموجب معاهدة الدفاع الأمريكية السعودية. وبالنسبة لإيران، فإن مثل هذه النتيجة ستكون كابوسا. ولن تكون طهران قادرة بعد الآن على ردع التعاون العسكري السعودي مع إسرائيل من خلال قيام وكلائها بمهاجمة القوات السعودية أو مصافي النفط، لأن القيام بذلك سيثير مواجهة مباشرة مع واشنطن.

ولحسن حظ إيران، لا تريد الرياض إنهاء انفراجها مع طهران، الذي كان نعمة للبلاد. فمنذ أن استأنفت المملكة العربية السعودية علاقاتها مع إيران، توقف الحوثيون المدعومون من إيران في اليمن عن مهاجمة الأراضي السعودية. وقد أقامت الرياض وطهران معا مستقرا لإطلاق النار في اليمن بعد سنوات من الحرب الوحشية. والآن، تحرز الأطراف اليمنية تقدما نحو التوصل إلى اتفاق دائم. وقد سهل هذا الأمن المكتشف حديثا على المملكة العربية السعودية متابعة أهدافها الاقتصادية السامية من خلال إزالة تهديد الهجمات الصاروخية الحوثية على المصافي السعودية والبنية التحتية الأخرى. ونتيجة لذلك، يبدو أن الرياض لم تعد تشارك إسرائيل رؤيتها لمحور عسكري واستخباراتي مشترك لدحر نفوذ إيران الإقليمي.و في الواقع، منذ آذار/ مارس، عملت إيران والمملكة العربية السعودية على تطبيع العلاقات بشكل كامل من خلال فتح سفارات، وتسهيل السفر بين بلديهما، وإقامة تبادلات ثقافية. وكانت إيران قد أقامت بالفعل علاقات كاملة مع الكويت والإمارات العربية المتحدة في عام 2022. وهي تجري محادثات مع مصر والأردن لاستعادة العلاقات مع هذين البلدين أيضا.

وسيظل اتفاق الدفاع الأمريكي السعودي مصدر قلق لطهران. لكن من غير المرجح أن يكون رد فعلها سلبيا على رد فعل لا يؤثر على علاقاتها الدبلوماسية والاقتصادية مع الرياض وبقية دول الخليج، ولا يضع ترتيبا أمنيا إقليميا يهدف إلى إضعاف قوتها. ومن خلال إشراك إيران في القضايا الثنائية والإقليمية في الوقت الذي تسعى فيه إلى إبرام صفقة كبرى مع الولايات المتحدة، يمكن للمملكة العربية السعودية تقليل المقاومة الإيرانية للصفقة الأمريكية وحتى إيجاد طرق لتأمين موافقة طهران على نظام إقليمي جديد.

وقد لا توافق واشنطن على جهود الرياض لإبقاء طهران على متنها من خلال استخدام التنازلات الدبلوماسية والفوائد الاقتصادية. فإيران هي أحد خصوم الولايات المتحدة الرئيسيين، وهي العدو الرئيسي لإسرائيل. لكن الولايات المتحدة لا تستطيع وقف تطبيع العلاقات بين إيران وجيرانها العرب. ومع ازدياد قوة محور المقاومة الإيراني، قررت كل من المملكة العربية السعودية وتركيا والإمارات العربية المتحدة أنه يجب دمج طهران في المنطقة للحفاظ على سلامتها. لقد قرروا أن بإمكانهم حماية أمنهم بشكل أفضل إذا تعاملوا مع إيران وإذا كان لطهران مصلحة راسخة في العلاقات الثنائية معهم.

ولا ينبغي للولايات المتحدة أن تحاول وقف التطبيع. فإذا نجح نهج العالم العربي، فإنه سيخدم المصالح الأمريكية من خلال تخفيف حدة التوترات الإقليمية، وتحرير الولايات المتحدة للتركيز على آسيا وأوروبا. ولذلك يجب على الولايات المتحدة استخدام النظام الجديد في الشرق الأوسط لكبح طموحات إيران، بدلا من محاولة عبثا إنشاء تحالف مناهض لطهران. وللقيام بذلك، يجب على واشنطن تشجيع المملكة العربية السعودية ودول الخليج الأخرى على تعميق انخراطها الدبلوماسي والاقتصادي مع إيران من أجل ضمان موافقة طهران على تسوية دائمة للقضية الفلسطينية ووقف التصعيد في بلاد الشام. وسيكون من الصعب التوصل إلى حل للفلسطينيين دون موافقة إيرانية ضمنية على الأقل - وأي اتفاق سيكون أكثر مرونة معه. ومن شأن مثل هذا الحل أيضا أن يحرم إيران من القدرة على استغلال القضية، ويكلف الأصوات الفلسطينية المتطرفة نفوذها، ويوفر مساحة سياسية للعالم العربي لإقامة علاقات أفضل مع إسرائيل.

العودة من حافة الهاوية

هناك قضية واحدة لا تزال إسرائيل والولايات المتحدة ومعظم الدول العربية متفقة عليها: برنامج إيران النووي. ويعتقدون جميعا أن التوسع المستمر للبرنامج هو أحد أكثر التطورات المزعزعة للاستقرار في الشرق الأوسط. ومع اقتراب طهران من إنتاج أسلحة نووية، قد تصعد إسرائيل هجماتها السرية على إيران. وإذا بدا أن طهران على أعتاب التحول إلى سلاح نووي، يمكن لإسرائيل أن تهاجم البلاد على الفور - وهو عمل يمكن أن يجر الولايات المتحدة بسرعة إلى صراع مباشر. وإذا وقعت الرياض وواشنطن معاهدة دفاعية، فقد تصبح السعودية أيضا طرفا في أي حرب. ثم تندلع تلك الحرب في بلاد الشام، وكذلك في الخليج، مع عواقب وخيمة على كل من المنطقتين وعلى الاقتصاد العالمي.

فقد حاولت إيران والولايات المتحدة، وفشلتا، في التوصل إلى اتفاق نووي جديد منذ تولي بايدن منصبه في بداية عام 2021. وفي البداية، قد يبدو أن هجمات 7 تشرين الأول/أكتوبر تجعل التوصل إلى اتفاق جديد مستحيلا تقريبا. لكن طهران وواشنطن عملتا بعناية على وقف التصعيد قبل 7 تشرين الأول/أكتوبر، وظل اتفاقهما الهادئ ثابتا إلى حد كبير. فعلى سبيل المثال، يبدو أن الاتفاق النووي غير الرسمي لا يزال ساري المفعول. وأطلق وكلاء إيران صواريخ على القواعد الأمريكية، ولكن ليس هناك ما يشير إلى أن أيا من الجانبين يريد محاربة الآخر - فهذه الهجمات مصممة لإظهار الدعم لغزة وتحذير الولايات المتحدة من إفشال الصفقة غير الرسمية أكثر من إلحاق ضرر حقيقي. وبالمثل، فإن ضربات واشنطن المتفرقة تتعلق بالمواقف، التي يتم تنفيذها لاسترضاء الجماهير المحلية التي تحرض على الرد على الهجمات الإيرانية. وبالنسبة لواشنطن، فإن التصعيد مع إيران من شأنه أن يحول الموارد العسكرية والدبلوماسية بعيدا عن منافستها مع بكين وموسكو. وفي الوقت نفسه، لا يريد قادة إيران المخاطرة بصراع يمكن أن يدمر اقتصادهم، وربما يسقط نظامهم.

ومن المرجح أن يستمر هذا الهدوء النسبي على الأقل حتى الانتخابات الرئاسية الأمريكية في تشرين الثاني/نوفمبر 2024. لكن العودة المحتملة للرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب إلى منصبه تعني أن طهران وواشنطن ليس لديهما الكثير من الوقت للتوصل إلى اتفاق جديد. وحتى لو أعيد انتخاب بايدن، يجب على الدولتين حل المواجهة النووية بينهما قبل تشرين الأول/أكتوبر 2025، عندما تنتهي صلاحية قدرة أي دولة موقعة على إعادة فرض العقوبات التي وافقت عليها الأمم المتحدة بموجب الاتفاق النووي لعام 2015 (الذي انسحب منه ترامب). فإذا لم تقم الولايات المتحدة وحلفاؤها الأوروبيون بإعادة فرض عقوبات الأمم المتحدة قبل ذلك الحين، فقد لا يتمكنون أبدا من تنفيذها مرة أخرى. ومن المرجح أن تستخدم الصين وروسيا حق النقض (الفيتو) ضد أي قيود مستقبلية، والتي يجب أن تمر عبر مجلس الأمن الدولي. ولكن إذا اختار الغرب إعادة فرض هذه القيود، فقد حذرت إيران من أنها ستترك معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية - وهي مقدمة علنية للغاية لبناء سلاح نووي - مما يعجل بأزمة دولية كبرى. وبالتالي، تريد واشنطن وحلفاؤها اتفاقا جديدا قبل أن يحسموا قرارهم.

وللتوصل إلى اتفاق جديد، يجب على إيران والولايات المتحدة استئناف العمل من حيث توقفتا في فيينا في آب/أغسطس 2022، وهي المرة الأخيرة التي أجرى فيها البلدان محادثات نووية. وعلى الرغم من القتال في غزة،

لا تزال أهدافهم كما هي. حيث تريد الولايات المتحدة الحد من كمية ونقاء اليورانيوم الذي يمكن لإيران تخصيبه - وبالتالي تمديد الوقت الذي تحتاجه طهران لإنتاج ما يكفي من المواد الانشطارية لصنع سلاح نووي - وضمان خضوع برنامج إيران النووي لمراقبة دولية صارمة. ومن جانبها، لا تزال إيران بحاجة إلى تخفيف العقوبات الاقتصادية المعوقة.

ولكن على عكس عام 2022، يجب على الولايات المتحدة تنسيق محادثاتها النووية عن كثب مع جهود المملكة العربية السعودية نفسها للحد من التوترات مع إيران. فالاثنان ، بعد كل شيء ، مرتبطان. وإن النجاح في المحادثات النووية التي تقلل من التوترات بين إيران والولايات المتحدة سيساعد المحادثات السعودية على تحقيق الشيء نفسه مع إيران. وفي الوقت نفسه، فإن النجاح في المحادثات بين الرياض وطهران سيعطي إيران سببا إضافيا للثقة في التوصل إلى اتفاق نووي مع الولايات المتحدة، خاصة إذا شجعت واشنطن مثل هذه المحادثات. وسيتعين على الولايات المتحدة التأكد من أن أي اتفاق نووي تبرمه مع المملكة العربية السعودية يحتوي على حدود وقيود تشبه الاتفاق الذي تبرمه مع إيران. وبخلاف ذلك، يمكن أن تدخل الدولتان في دوامة تصعيدية، لأن أي دولة تمنح قدرات نووية أدنى ستعمل جاهدة للحاق بالركب.

وعلى المدى القريب، يجب أن تركز استراتيجية واشنطن في الشرق الأوسط على إنهاء الحرب في غزة وإيجاد طريق للاستقرار الإقليمي. ولكن على المدى الطويل، تحتاج الولايات المتحدة إلى النظر إلى ما هو أبعد من إيران والفلسطينيين فقط. ويجب أن تتعامل سياساتها في الشرق الأوسط أيضا مع بكين: المنافس الدولي الرئيسي لواشنطن.

فقد نما الوجود الاقتصادي للصين في الشرق الأوسط بشكل ملحوظ خلال العقد الماضي. وتعتمد البلاد بشكل كبير على الخليج للحصول على إمدادات الطاقة، وقد استخدمت الخليج كبوابة لتوسيع شبكات التجارة والاستثمار في أفريقيا. وبدورها، عرضت الصين على المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة الوصول إلى المعرفة - على سبيل المثال، حول التقنيات الكامنة وراء الطاقة الخضراء - التي لا يمكنهما الحصول عليها في الغرب، مما يساعد على قيادة التنمية في الخليج. كما قامت الصين باستثمارات مالية مباشرة كبيرة في الخليج، وخاصة داخل المملكة العربية السعودية. وفي عهد الرئيس الصيني شي جين بينغ، تم دمج هذه العلاقة التجارية في مبادرة الحزام والطريق الصينية.

وقد جعل شي تعزيز هذه العلاقات جزءا من رده على جهود واشنطن لتقييد بكين.
وقد أحاطت الولايات المتحدة علما بعلاقة الصين المتنامية مع دول الشرق الأوسط. وقد أولت اهتماما وثيقا بشكل خاص عندما ساعد شي في التوسط في التقارب بين إيران والمملكة العربية السعودية. وتعتقد واشنطن أن الصين تريد استخدام نفوذها الاقتصادي في الشرق الأوسط لتصبح قوة سياسية وأمنية في المنطقة. فمعاهدة الدفاع الأمريكية السعودية هي رد: وسيلة لوقف انجراف الرياض إلى مدار الصين. كما أن خطط واشنطن لإنشاء ممر تجاري عبر الشرق الأوسط مصممة أيضا لتقويض مخطط بكين. ومن شأن مثل هذا الممر أن يفيد المنطقة اقتصاديا، لكن الغرض الأساسي منه هو مواجهة مبادرة الحزام والطريق من خلال ترسيخ المستقبل الاقتصادي للمنطقة في الهند وأوروبا. كما سيربط الممر الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية بإسرائيل ويدمج اقتصاد إسرائيل في اقتصاد الشرق الأوسط.

وردت بكين بحذر على مقترحات واشنطن. فعندما تحدثت الولايات المتحدة عن إنشاء ممر اقتصادي هندي-شرق أوسطي-أوروبي، ردت الصين بالقول إنها سترحب بالممر شريطة ألا يصبح أداة جيوسياسية ، وهو بالطبع ما تريده الولايات المتحدة بالضبط. وهذا من شأنه أن يقسم الشرق الأوسط بين تلك التي تشكل جزءا من الممر الاقتصادي وتلك التي ليست كذلك: نظام إقصائي يتعارض مع رؤية الصين الإقليمية. وتعرف بكين أن دفع إدارة بايدن للتطبيع الإسرائيلي السعودي هو محاولة لمطابقة نجاح الصين مع الإيرانيين والسعوديين. والصين ليست بعد في وضع يمكنها من إحباط خطط الولايات المتحدة، لكن لا توجد مؤشرات على أنها ستبطئ مشاركتها الاقتصادية مع المنطقة. وفي ظل الفراغ الجيوسياسي الحالي، ستستمر هذه المشاركة في التوسع والتعمق.

ولا تريد المملكة العربية السعودية الاختيار بين الصين والولايات المتحدة. ولكن تماما مثل إسرائيل والأراضي الفلسطينية، قد توافق الرياض على خطط واشنطن لأنها ستعزز طموحات الرياض كقوة عظمى من خلال تعزيز مكانتها الإقليمية وتوسيع نفوذها الاقتصادي. ومن شأن هذه الخطط أن تحسن اقتصادات دول المنطقة الأخرى أيضا. ونتيجة لذلك، يمكن للدول العربية التي قد تكون معادية لشرق أوسط محوره السعودية أن توافق على مقترحات الولايات المتحدة. وإذا فعلوا ذلك، فإن النتيجة ستكون قدرا أكبر من الاستقرار داخل دول الشرق الأوسط وفيما بينها.

ولكن لزيادة احتمال أن تقبل كل ولاية نظامها المقترح، قد تضطر الولايات المتحدة إلى القيام بأكثر من التأكد من أن نظامها يحقق ازدهارا واسع النطاق.و يجب على الولايات المتحدة أيضا أن تؤيد رؤية لأمن الشرق الأوسط لا تقسم المنطقة إلى معسكرات بل تفسح المجال لجميع الجهات الفاعلة. وهذا يتطلب من الولايات المتحدة السماح للبلدان في ممرها الاقتصادي المتصور بالانضمام إلى الترتيبات الاقتصادية الأخرى أيضا. كما يتطلب صفقة كبرى لتعزيز أمن إسرائيل والدول العربية الأخرى، وحتى إيران. ويمكن توفير هذا الأمن، جزئيا، من خلال اتفاق نووي جديد واتفاق إقليمي بين إيران والمملكة العربية السعودية. لكن يجب على الولايات المتحدة أن تفكر في جعل الاتفاقيات الإقليمية تتجاوز تلك التي تبرمها مع المملكة العربية السعودية. ويمكن لهذه الاتفاقيات أن توسع الضمانات الأمنية الأمريكية لتشمل دولا أخرى، ولكن يجب أن تأتي أيضا مع قيود وخطوط حمراء. ولا يمكن لواشنطن ببساطة الاستمرار في تزويد الحلفاء الإقليميين بالأسلحة، كما فعلت قبل 7 تشرين الأول/أكتوبر. وبدلا من تعزيز الاستقرار، شجعت هذه السياسة سباق التسلح والحرب الإقليميين.

صنع السلام

بغض النظر عما تفعله واشنطن، ستكون هناك مقاومة لرؤيتها في الشرق الأوسط. وستبقى إيران معادية لإسرائيل والولايات المتحدة. ولن يكون جيران المملكة العربية السعودية في الخليج سعداء أبدا بهيمنة المملكة. وستحسب إسرائيل وتركيا أيضا ما يعنيه أن تجمع المملكة العربية السعودية الكثير من القوة وما يعنيه التزام الولايات المتحدة تجاه السعوديين لمصالحهم. وسوف يتفاعلون وفقا لذلك، وعلى الأرجح بطرق لا يمكن أن تتوقعها واشنطن.

ولكن على الرغم من أن كل هذه الدول تريد المزيد من السلطة، فإن ما تريده أكثر من أي شيء آخر هو الحفاظ على استقرار أنظمتها. وإنهم يريدون الاشتراك في رؤية تنهي الصراعات المحلية، وتعزز النمو الاقتصادي، وتقلل من الضغوط الداخلية. فإذا تم التوصل إلى اتفاق بين الولايات المتحدة والسعودية، فسوف يقبلونه في نهاية المطاف.

العنوان: العراق ـ بغداد ـ الكرادة ـ عرصات الهندية ـ مجاور السفارة الصينية
بغداد الجادرية صندوق بريد 2405
Website: http://www.horsiraq.net
Mobile: 00964 - 7810234002
Baghdad - Aljadiriyah - P O. Box: 2405
E-mail: horsiraq@yahoo.com

ومع ذلك، ولإنجاح هذه الصفقة، ستحتاج الولايات المتحدة إلى إقناع إسرائيل بالتوقف عن الانخراط في ما يعتبره الكثيرون عقابا جماعيا للمدنيين الفلسطينيين. ويجب على واشنطن معالجة محنة الفلسطينيين على نطاق أوسع، بدلا من تجاهل قضيتهم، من خلال المساعدة في خلق مسار موثوق به إلى دولة فلسطينية مستقبلية. ويجب أن تتعامل صفقة واشنطن مع التحدي الذي تمثله إيران من خلال تجميد برنامجها النووي وتقييد شبكة عملائها الإقليميين، سواء من خلال الردع أو من خلال اتخاذ خطوات للحد من التوترات. ويجب على الولايات المتحدة إنشاء ممر تجاري يساعد على تنمية اقتصادات الشرق الأوسط. فعندها فقط ستكون المنطقة مستقرة، وعندها فقط ستتحرر واشنطن من مسؤولياتها الحالية.

Mobile: 00964 - 7810234002
Baghdad - Aljadiriyah - P O. Box: 2405
E-mail: hcrsiraq@yahoo.com
العنوان: العراق ـ بغداد ـ الكرادة ـ عرصات الهندية ـ مجاور السفارة الصينية
بغداد الجادرية صندوق بريد 2405
Website: http://www.hcrsiraq.net

مركز حمورابي
للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

أسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية في،2006-11-18 بمدينة بابل(الحلة)، كمركز علمي بحثي يمتد الى دراسة الموضوعات السياسية و المجتمعية بصورة علمية و استراتيجية، فضلاً عن التركيز على القضايا والظواهر الحادثة والمحتملة قي الشأن المحلي والأقليمي والدولي ، ويتعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجه، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

www.hcrsiraq.net

07810234002

hcrsiraq@yahoo.com

t.me/hammurabicrss

hcrsiraq

hcrsiraq

العراق - بغداد- الكرادة - العرصات الهندية-قربالسفارةالصينية